

موت الأءزاب

2017-06-24 بروجكك سنكككك

نلنا ءروشوفا

موسكو – قبل نحو 26 عامآ، أصدر الرئلس بورلس لئللسن مرسوفا ءظّر فعلىا عمل أءهزة الءزب الشلوعى فى المصانع والءامعات وكل أماكن العمل الأءرى فى مءءلف أنحاء الاءءاء الروسى. ولكن مرسوم لئللسن الءرىء كان فى بعض النواءى ءىر ضرورى: ذلك أن الءزب الشلوعى فى الاءءاء السوفلئىءى، الذى كان ذات لوم سلاءا ءنظلمفا مءلفا، كانت أءواله مءءهورة بالفعل بسبب وءشئته وافتقاره إلى الكفاءة، إلى الءء الذى ءمل عامة الناس على عدم الاءءراء به.

اللوم، لبدو أن بعض الأءزاب السلسفة الءى كانت عظلمة ذات لوم فى الغرب وبعض الءول الناشئة ءسلء أيضا مسارا سرفعا إلى عالم النسلان. ولكن فى ءلن كان زوال الءزب الشلوعى فى الاءءاء السوفلئىءى منطقىا ءمافا – ءاء القرار الذى اءءذه لئللسن قبل بضعة أشهر فقط من انهيار الاءءاء السوفلئىءى – فإن ءفسلر انءءار الأءزاب السلسفة الءبرى فى ءول مثل فرنسا والهند للس بهذه السهولة.

فى فرنسا، نءء الرئلس إلمانول ماركرون للءو فى ءأملىن أءلبفة كبفرة فى الءمعة الوطنفة الفرنسفة لصالء ءركءه الءى لا لزلء عمرها عن عام واءء، لكى لرسل ظاهرفا الءزب الاءءراكى – الذى كان ماركرون ذاته منءمفا إلىه عنءما شءل منصب وزفر الاءءءاء – إلى مزبله ءروسكى للءارىء. أما الءزب الرئلسى الءبرى الأءر فى فرنسا – ءزب الءمهورلئىن الذى ىنءمى إلى لسلر الوسل – فلا لبدو أن ءاله كانت أفضل كءفرا.

وءى وقت قرفب، بءا الأمر وكأن ءزب العمال فى المملكة المءءءة، بزعامة اللسارى المءطرف

جيريمي كوربين، أصبح هو أيضا على حافة الانقراض. ولكنه مُنح شيئاً من الإرجاء والمهلة، بفضل عجز رئيسة الوزراء المحافظة تيريزا ماي الفاضح في الحملة الانتخابية البرلمانية الأخيرة. ولكن من غير المؤكد على الإطلاق ما إذا كان كوربين قادرا بالفعل على توحيد وإحياء حزبه.

في العالم النامي، تشهد الهند تراجعا ملحوظا لحزب المؤتمر الوطني الهندي، حزب أول رئيس وزراء للبلاد، جواهر لال نهرو، الذي قاد البلاد إلى الاستقلال عن المملكة المتحدة. ففي ظل القيادة الأسرية الضعيفة من جانب سونيا غاندي (أرملة رئيس الوزراء المغتال راجيف غاندي، حفيد نهرو ونجل رئيسة الوزراء أنديرا غاندي) وولدها راؤول، يبدو حزب المؤتمر الوطني الآن غير قادر حتى على الحفاظ على المقاعد في معاقله التاريخية، مثل أوتار براديش. ويبدو أن خصمه الرئيسي، حزب بهاراتيا جاناتا، ضمن بالفعل انتخابات 2019 البرلمانية.

وفي جنوب أفريقيا، يواجه حزب المؤتمر الوطني الأفريقي، وهو حزب آخر كبير ساعد في التحرر الوطني وإسقاط نظام الفصل العنصري، انحدارا ماثلا. فبعد ثمانية عشر عاما فقط من ترك نيلسون مانديلا الرئاسة، يتهاوى حزب المؤتمر الوطني الأفريقي تحت وطأة الزعامة الفاسدة الهدامة للرئيس جاكوب زوما. وربما يحدث انقسام رسمي بين الفصائل المتناحرة الساخطة عندما يختار حزب المؤتمر الوطني الأفريقي زعيما جديدا في وقت لاحق من هذا العام.

بطبيعة الحال، زالت أحزاب سياسية كبرى من قبل. ففي القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، كان الحزب الليبرالي، وليس حزب العمال، هو المنافس الرئيسي للمحافظين في المملكة المتحدة، وكان الحزب مزدهرا تحت قيادة شخصيات مثل ويليام جلادستون وديفيد لويد جورج. غير أن هذا انتهى قبل بضع سنوات من اندلاع الحرب العالمية الأولى، كما وصف الصحفي البريطاني جورج دانجرفيلد، الذي تحول إلى مؤرخ، في كتابه "موت إنجلترا الليبرالية الغريب".

وفي إيطاليا، شهدت الأحزاب السياسية في فترة ما بعد الحرب – الديمقراطيون المسيحيون، والشيوعيين، والاشتراكيون – شيئاً من الانقراض الجماعي، بعد فضيحة الفساد التي اندلعت في عام 1992. وفي العام التالي، مُحي حزب المحافظين في كندا عمليا في انتخابات برلمانية، حيث خسر كل مقاعده (151 مقعدا) باستثناء مقعدين.

هناك العديد من التفسيرات لسقوط الأحزاب السياسية. فقد أسهم انتقال الناخبين من أبناء الطبقة العاملة إلى الطبقة المتوسطة في سقوط الأحزاب الشيوعية في أوروبا الغربية بقدر ما أسهم فشل النظام السوفييتي في ذلك.

وعلى نطاق أوسع، في الدول حيث تضم الحكومات الائتلافية أحزابا تتبنى إيديولوجيات متماثلة، ربما يكون من السهل على الناخبين أن يحولوا ولاءاتهم. ويصدق هذا بشكل خاص في أيامنا هذه، حيث ينظر الناخبون على نحو متزايد إلى الأحزاب باعتبارها ماركات يمكن استبدالها إذا فشلت في مواكبة أذواق المستهلك، بدلا من كونها نقاط تركيز للولاء القبلي الحصين.

وعلاوة على ذلك، أصبح الناخبون اليوم أكثر ميلا إلى التركيز على سياسة واحدة رئيسية أو سياستين، بدلا من التركيز على برنامج الحزب بأكمله. وهذا الفكر هو الذي سمح بازدهار أحزاب تتبنى قضية واحدة، مثل حزب استقلال المملكة المتحدة الذي يركز على الهجرة.

ويبدو أن الاستخدام المتزايد للاستفتاءات في ديمقراطيات العالم المتقدمة كان نتيجة مباشرة للتحول نحو السياسات الموجهة نحو المستهلك. والمشكلة هي أن الاستفتاءات تقوض المساءلة، كما تعمل على تمكين قرارات غير مدروسة تقوم على أسئلة مبسطة، كما كانت الحال مع التصويت العقيم لصالح الخروج من الاتحاد الأوروبي في المملكة المتحدة. في مثل هذه المواقف، كما قال الكاتب المسرحي بيرتولت بريخت ساخرا ذات يوم، يُصبح البديل الوحيد هو "حل الشعب وانتخاب شعب آخر".

ولكن في حين يقطع التصويت المكتسي بصبغة الفكر الاستهلاكي بعض الطريق نحو تفسير زوال أحزاب مثل الاشتراكيين في فرنسا، فإنه لا يفسر انحدار حزب المؤتمر الوطني الهندي وحزب المؤتمر الوطني الأفريقي. ويبدو أن مشكلة مثل هذه الأحزاب متأصلة في الغطرسة.

في حالة حزب المؤتمر الوطني الهندي، كانت هذه الغطرسة موروثا إلى حد كبير. فمن نهرو إلى أنديرا وراجيف غاندي إلى الوجه العاجز الحالي للحزب، راؤول، كانت أسرة غاندي تنظر إلى الزعامة والسيطرة على حزب المؤتمر كحق موروث لا يمكن إلغاؤه، بصرف النظر عن المهارة الفردية أو

المؤهلات الفعلية.

أما عن حزب المؤتمر الوطني الأفريقي، فيبدو أن الغطرسة كانت أقرب إلى تلك التي رأيناها من الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي: شعور غالب بامتلاك الدولة، وهو ما يجعل الفساد يبدو أشبه بشكل من أشكال الاستحقاق الانتخابي. ويفصل مثل هذا النوع من الغطرسة الحزب عن مؤيديه الحقيقيين، الذين يجدون بعد ذلك أنه من الأسهل أن يبحثوا عن بديل أكثر صلاحية.

ولكن الموت في عالم السياسة ليس دائما بالضرورة. على سبيل المثال، حَكَم الحزب الثوري المؤسسي في المكسيك البلاد طوال 71 عاما، قبل أن تلحق به الهزيمة في عام 2000. في ذلك الوقت، كان المفترض أن الحزب الثوري المؤسسي لن يعود إلى السلطة أبدا. ولكنه برغم ذلك عاد، بحلول عام 2012، مع انتخاب الرئيس الحالي إنريكي بينيا نييتو.

وربما يكون هذا الاحتمال هو السبب وراء عدم اكتراث أسرة غاندي وزوما بانحلال حزبيهما. ولكن السؤال الآن هو ما إذا كان أي شيء يعود من بين الأموات قادرا على العودة إلى ما كان عليه في سابق عهده.

* نينا خروشوفا، أستاذة في برنامج الدراسات العليا للشؤون الدولية في المدرسة الجديدة في نيويورك ومؤلفة كتاب تخيل نابوكوف: روسيا بين الفن والسياسة، وكتاب فقدت خروشوف: رحلة في معسكرات العمل من العقل الروسي

<https://www.project-syndicate.org>

.....

* الآراء الواردة لا تعبر بالضرورة عن رأي شبكة النبا المعلوماتية